الباب الثالث

اسبانيا العربية الثائرة

(٢٣٨ — ٣٠٠ هـ) (٨٥٢ — ٩١٢ م)

قام صراع عنيف فى أثناء هذه الفترة بين الحكومة الأميرية فى قرطبة وبين حكام الأقاليم فى أنحاء الأندلس العربية ، و بذل كل طرف منهما الجهود الجبارة للوصول إلى بغيته ، ووقعت البلاد بأسرها فى حروب طاحنة أهلكت النسل والزرع والضرع ، وقاست الحكومة الأموية أهوالا على أيدى الثوار الذين أحاطوا بها من كل جانب ، وكادوا ينتزعون السلطة من أيديها و يقيمون حكومات اقليمية مستقلة عنها فى كل مظاهر السلطان والنفوذ ، وقاد هذه الثورة زعماء قادرون عريقون فى الحسب والنسب ، وأسرع نصارى الشمال وتدخلوا فى شؤون الأندلس الداخلية وأمدوا الثورة بكل ما استطاعوا من رجال وأموال فاستفحل أمرها ، وأصبحت شراً مستطيراً على البلاد والعباد ، وهب الأمير الأموى ومن حوله من الأنصار والقواد يكافحون للاحتفاظ بالسلطة المركزية كفاح المستميت ، وطال أمد الثورة ، وأصبحت خزينة الدولة خاوية على عروشها ، وقلت الأقوات وزاد الغلاء وعم البلاء ، وأصبح لا محيص عن تمزق ملك عبد الرحمن الداخل وسقوط دولة بنى أمية فى الأندلس ، ولكن سرعان ما تبدلت الحال وظهرت بوادر الفرج بصعود عبد الرحمن الثالث عرش البلاد ، وكانت الثورة قد فقدت حدتها بموت زعمائها فاستطاع الملك الشاب استرداد مجد الأمويين بالأندلس واليك التفصيل :

الفصل الأول

عصر محمد بن عبد الرحمن : (٢٣٨ — ٢٧٣ هـ) (٨٥٢ — ٨٨٦) م

مات عبد الرحمن فجأة قبل أن يختار أحد أبنائه ولياً للعهد ، وكان له ولدان عبد الله بن الملكة طروب ومحمد ، فاغلق الخصيان باب القصر حتى لا يتسرب خبر الوفاة الى الخارج ، وعقدوا مجلسا تحت رياسة أحدهم أبى المفرح و بعد المشاورة قر رأيهم على اسناد منصب الامارة إلى محمد لحسن سيرته وصلاحه وتقواه ، وحمل الخصى سعدون القرار وذهب إلى محمد ومعه خاتم الامارة إلى قصره فى الهزيع الأخير من الليل ، وأعلمه بوفاة أبيه وانعقاد الرأى على المناداة به ملكا ، فارتاب محمد فى الأمر وظن أن سعدونا أرسل من قبل أخيه عبدالله لاغتياله ، ولكن سعدونا أكد له صدق رسالته ، وطلب اليه النهوض والذهاب إلى قصر الامارة فوراً ، فأجاب محمد الطلب واحتال على الحراس حتى دخل القصر قبيل الفجر وأخذ البيعة لنفسه على من حضر ، وأعلن نفسه أميراً فى الصباح

يقول دوزى : « اعتلى محمد عرش الامارة وغير سيرته الاولى فقد طاب له أن يمضى سحابة يومه فى قصر الرصافة ، ويكثر من الشراب وأظهر أنانية وضعف عقل فى تصرفاته ، وكان أول أعماله أن أنقص مرتبات الموظفين وقلل أعطية الجند ، ثم حرم البلاد من خدمات الأكفاء من وزراء أبيه . وعين أحداثا تعوزهم التجارب نظير أخذ نصيب من رواتبهم ودخلهم ، وكان بخيلا حريصاً على أموال الدولة لم يسمح لأحد بمشاركته فى تدبيرها ، وكان يحاسب وزير المال

على درهم نقص من دخل قدره مائة الف دينار

كرهه الناس لموقفة هذا عدا جماعة الفقهاء ، وذلك لانهم رأوه شديد الغيرة على الدين الاسلامى يستطيع كبح جماح المسيحيين المتعصبين ، ولما شعر بتأييد هذه الطائفة له طرد كافة الموظفين والجند النصارى ولم يبق فى خدمته الاجوميز، ثم خالف سياسة آبائه فى نظرية التسامح الدينى وصمم على إقامة الاسلام وتأييده بكل ما استطاع من قوة ، فأمر بهدم ما كان قد بنى من الكنائس وما كان باقيا منها ثم أخذ ينشر الاسلام بين رعاياه واضطهد من لم يعتنقه من النصارى فدخله الكثيرون خوفا »

وقد اعتنق جوميز الاسلام حتى يحصل على منصب المتصرف ببيت المال الذى خلا بوفاة شاغله عبد الله بن أمية ، وقد قلده إياه الأمير بعد اسلامه ، وأخذ جوميز يحافظ على إقامة الشعائر الدينية فى أوقاتها ولم ينقطع عن الصلاة فى الجامع فرضاً واحداً فاطلق عليه الفقهاء اسم « يمامة الجامع » وسمى ابنه عمر .

القضاء على حركة الاستشهاد ومحاربة طليطلة :

غضب يولوجيوس غضبا شديدا بسبب ماحل بنصارى قرطبة ، وذهب إلى طليطلة وأخذ يخطب بين أهله خطبه النارية حتى أثارهم على الأمير ، واختاروا زعيما من بينهم يسمى سندولا ، وقبضوا على حاكم المدينة العربى وانذروا محمدا بأنهم سيقتلونه إن لم يطلق يطلق سراح الرهائن الموجودة لديه ، فأجاب الأمير طلبهم وأطلق سراح الرهائن حتى ينقذ الحاكم فأطلقوه وأجبروا الحامية العربية على مغادرة المدينة .

جهز محمد الجيوش وأرسلها إلى قلعة رباح فى سنة ٢٣٩ هـ (٨٥٣ م) تحت قيادة أخيه الحكم لاصلاح اسوارها التى خربها أهل طليطلة ، ثم تقدم نحو طليطلة

بعد أن رم أسوار القلعة ، وكان الأمير قد سير جيشا آخر عليها ، فخرج أهل طليطلة على الجيوش الأميرية وهزموها وقتلوا عددا كبيرا من جند المسلمين ثم زحفوا على قرطبة فغضب الأمير وجمع جيوش الدولة وخرج على رأسها لمعاقبة الثوار وذلك فى السنة التالية ، ولما علم سندولا الخبر استنجد بأردونو الاول ملك ليون فأمده بجيش عظيم بقيادة جاتون ، ويقول ابن خلدون ان ملك نفارا أرسل أيضا نجدة لشد أزر النصارى

تقدم محمد بالجيش نحو طليطلة ، وتقهقر الحلفاء من النصارى واعتصموا بأسوار المدينة الحصينة وحاصرهم الأمير بجنده ، ثم زحف على المدينة بقوة صغيرة بعد أن أعد كمينا لهم بوادى سليط ، ولما رأى جاتون قلة العدد الذى يحاصر المدينة تشجع وفتح الأبواب وخرج للقتال ، فتظاهر الأمير بالتقهقر وتراجع نحو الكمين وتبعه الأعداء هاجمين حتى إذا ماوصلوا إلى مكان الكمين خرج منه باقى الجند وأحاطوا بالحلفاء فأبادوهم عن آخرهم ، واحتز عسكر محمد ٨٠٠٠ رأس من رؤوس أعدائهم وأقاموا منها أكداسا ، وعاد محمد ظافرا بعد أن قتل ٢٠ ألفا ، ثم أمر بأن تعلق بعض هذه الرؤوس على أسوار قرطبة ، ثم أمر قواده وابنه المنذر بمداومة غزو طليطلة وإرهاق أهلها بشتى الضرائب ، ثم ضاعف الجزية على مسيحى قرطبة وهدم أحد اديرتهم ، ولكن على الرغم من ذلك استمر بعض المتهوسين فى حركتهم الاستشهادية ، ولم يمض وقت طويل على هذه الحوادث حتى اختارت طليطلة يولوجيوس رئيسا لأساقفتها ، وامتنع الأمير عن الموافقة على هذا الاختيار ولكن الاساقفة أصروا على رأيهم فوافق الأمير ، وما لبثت أن ثارت طليطلة مرة اخرى فهاجمها الأمير بجيوشه وحرق مبانيها واغرق جيوشها فى نهر التاجة وتركها قاعا صفصفا

ولما عاد إلى قرطبة سنحت له فرصة للتخلص من ألد أعداء المسلمين وهو يولوجيوس ، وكان قد عاد إلى قرطبة وأخفى فتاة تسمى ليوكريتا فى منزله ، وكانت من أبوين مسلمين واعتنقت المسيحية باغراء إحدى الراهبات ، ولما بلغ خبر اختفائها القاضى أمر بمهاجمة منزل يولوجيوس وقبض الجند عليها وعليه ، وحاكمه القاضى وأمر بجلده ، ولكن القس رفض الجلد وأخذ يسب النبى حتى يأمر القاضى باعدامه ولكن القاضى تردد فى توقيع العقوبة رأفة به وأرسله إلى الوزراء حتى يراجع نفسه و ينكر السب ، ولكنه لم يفعل فضربت عنقه فى ١١ مارس سنة ٨٥٩م وأعدمت الفتاة بعد ذلك بأربعة أيام ، وقد حزن النصارى حزنا شديداً لموت شهيدهم ورفعوه إلى مقام القديسين ، وطلب الفونسو ملك ليون بعد ذلك بأربع وعشرين سنة من الأمير الأموى أن ينقل رفات هذا القس مع الفتاة إلى ليون فأجيب إلى طلبه

أخذت حركة الاستشهاد بعد ذلك فى الضعف لأنها فقدت مثير ضرامها و بعد زمن قليل انقلبت هذه الحركة الجنونية إلى حرب علنية بين المسيحيين والمسلمين فى أنحاء اسبانيا

انتشار الفتن والفوضى فى البلاد

أولا — إغارة النورمان للمرة الثانية :

بينما كان الامير يطفىء نار الثورة فى طليطلة و يخضعها لسلطان قرطبة أعاد النورمان الكرة على شواطىء اسبانيا فى عام ٢٤٥ هـ ، فأغاروا أولا على سواحل جليقية ، ثم مضوا فى ستين مركبا إلى شواطىء الاندلس فنزلوها وعاثوا فى أقاليم ريه ومالقه ورندة ، واحرقوا المدائن المجاورة للبحر ، وهدموا كثيرا من

المبانى والقلاع التى كانت معدة لمراقبة الطوارىء الخارجية ، وخربوا جامع الجزيرة الخضراء المسمى بمسجد الرايات ، ولما بلغ خبرهم الامير ارسل فرسانه ليدفعوا غائلتهم ، ففر النورمان إلى شواطىء افريقية ثم عادوا إلى ساحل تدمير ودخلوا عاصمتها اريولة ونهبوا كثيرا من قرى المسلمين ، وحمل عليهم الاسطول الاندلسى فحطم بعض سفنهم بعد قتال عنيف استشهد فيه كثير من المسلمين ، وتراجع النورمان الى جزائر ميورقة ومنورقة وخربوها ، ثم ساروا الى سواحل الفرنجة وروعوا الأهلين وغنموا غنائم لا تحصى ، ووصلوا الى بنبلونه عاصمة نافار واستولوا عليها واسرواحاكمها وفدى نفسه بسبعين الف دينار ، ثم انصرفوا فلقيتهم مراكب الأمير وقاتلوهم وغنموا مركبين ، ورجع النورمان الى شواطىء اسكندناوة ومراكبهم مثقلة بالغنائم وذلك فى عام ٢٤٦ هـ ٨٦٠ م .

ثانيا : اغارة اردونو :

واغار اردنو ملك ليون على الأملاك الأسلامية الواقعة فى جنوب نهر دويره فى عام ٢٤٦ هـ ، وتغلب على والى الحدود زيد بن قاسم ، واستولى على كثير من المدن والحصون منها كوريا وسلمنقه وقتل رجال هاتين المدينتين ، ففزع الامير من انتصار اردونو ، وارسل جيشاً على رأسة ابنه المنذر لمحاربة هؤلاء النصارى والعمل على استرداد المدن والحصون ، ونجح المنذر فى حملته واسترجع المدينتين وقتل عددا كبيرا من اعداء قرطبة ؛ ثم حول جيشه الى الشمال الشرقى وعبر نهر الابرو ، ودخل نفار وباغ ارض بنبلونه واتلف ثمارها وحاصلاتها ، وافتتح ثلاثة حصون منها حصن قشتيل واسر بطلها المسمى فرتون بن غرسيه ، وحمله إلى قرطبة فمكث بها ٢٠ عاما .

أغار نصارى جليقية بعد ذلك بثلاث سنوات على أملاك المسلمين المتاخمة لهم ونهبوها وخربوا كثيرا من المدن والمبانى ، فأمر محمد قواده وجيوشه بالزحف عليهم ، وخرج بنفسه غازيا وانضم اليه فرسان ماردة وحارب هؤلاء النصارى ودخل بلادهم ، وتقهقر الأعداء أمامه ورجع الأمير عن طريق طلبيره واتجه نحو طليطلة لتأديبها .

ثالثا : ثورة حفصون:

قامت ثورة هائلة فى بلاد ارجون العليا على حدود الفرنك يقودها شقى يعرف بحفصون وذلك فى سنة ٢٥٠ هـ ، واتخذ حصنا من حصون اليهود يعرف بروطة اليهود مقرا له ، وهو حصن منيع على قمة جبل صخرى ويقع فى ولاية سرقسطة ، وقد انضم اليه نصارى تلك الجهة وشقوا عصا الطاعة ضد الأمير ، وكانت جموع حفصون تنقض من الجبال كالسيول الجارفة على البلاد فتروعها وتخربها ، وتحرض أهلها على نبذ الطاعة والانضمام اليهم ، ومن أبى منهم كان جزاؤه القتل ، وبواسطة هذا الارهاب التف حول حفصون نفر كبير ، وانضم والى لارده اليه ، وسلمه المقاطعة وتبعه قادة القلاع الأخرى وغيرهم من اليهود والنصارى ، وامتد لهب الثورة فى زمن يسير حتى عم جميع الأقاليم الواقعة على شاطىء نهر أبرو الأيسر ، ولم يحرك والى سرقسطة ساكنا فى إيقاف هؤلاء الثوار عند حدهم بسبب غضب الأمير عليه ونهض الأمير لأطفاء نار الثورة ، وكتب إلى ولاته المخلصين بجمع الجيوش ، وذهب بنفسه إلى طليطلة على رأس جيش كبير ، وأمر ابنه المنذر بمراقبة حدود جليقية ، واجتمع جنود مرسية وبلنسية تحت قيادة زيد بن قاسم حفيد الامير ، وزحفوا للانضمام إلى جيش قرطبة ، وذلك بقصد الزحف على شاطىء نهر الابرو

لمطاردة حفصون الثائر واسترداد المدن والحصون التى استولى عليها ، ولما رأى الثائر أن لاقبل له على منازلة كل هذه الجيوش الجرارة عمد إلى الخداع ، وكتب إلى الأمير يسترضيه و يطلب اليه أن يأمر الجيوش الزاحفة عليه بالانضمام اليه حتى يحارب الفرنج فخدع الامير ورجع بالجيوش التى كان يقودها إلى معاونة ابنه المنذر فى حروبه ضد جليقية ، وأمر حفيده بالانضمام إلى حفصون ، ونفذ زيد الامر ، وتظاهر حفصون بالاخلاص والولاء ، ولكنه انقض على جيش زيد فى ظلام الليل وأباده وقتل زيد فى المعركة بعد أن دافع دفاع المستميت ، وكان ذلك عام ٢٥٢ هـ ٨٦٦ م .

هلع الامير لنبأ هذه الفاجعة واستدعى ابنه المنذر من حدود جليقية ، وطلب اليه محاربة الخائن وحليفه عبدالملك والى لاردة حربا عوانا ، وزحف المنذر على أودية العصاة ، وقاوم حفصون وحليفه مقاومة عنيدة ، ولكن المنذر انتصر وأسر عبد الملك وقطع رقبته وأرسلها إلى قرطبة ، ثم استولى على روطة اليهود وكر الخائن الذى فر إلى ركن منيع من أركان جبال البرانس ، وكان من نتائج هذا الانتصار أن خضعت لاردة وحصون أخرى إلى سلطان قرطبة ، ثم عاد المنذر إلى العاصمة ظافرا فاستقبل فيها استقبالا عظيما وذلك فى عام ٢٥٢ هـ ٨٦٦ م

رابعا : الحروب ضد سرقسطه:

ظهرت أسرة فى ولاية سرقسطه وما حولها تعرف بأسرة بنى قصى ، و يرجع نسبها إلى القوط الذين وجدوا فى أوائل الفتح العربى ، واشتهر من أفرادها الكثيرون منهم لب ومحمد وموسى وغيرهم ، وقد وصلوا إلى مراكز سامية فى

عهد الدولة الاموية ، وتولوا حكم المقاطعات التى حول سرقسطة ومنهم من حكم فى مدينة طليطله

وقد ظل أفراد هذه الاسرة موالين لقرطبة حتى زمن محمد بن عبد الرحمن ، ولـكن حدث بعد ذلك أن ظهر من بينهم موسى الثانى واتخذ مدينة سرقسطة عاصمة له ، واستقل بها عن إمارة قرطبة ، وحالف طليطلة وحارب كونت برشلونه وملك قشتاله والفرنجة ، وأهان شارل الجسور أمير برغندية ، وعلت كلمته وعظمت سطوته فنادى بنفسه ملكا ثانيا لأسبانيا ، ثم تحالف مع الفونسو الثالث ملك ليون الذى خلف اردونو على العرش سنة ٨٦٦ م ، وأصبح أمره خطرا على الأندلس ولذلك جمع الأمير فى سنة ٨٦٩ م جنود الاندلس ووجهها تحت قيادة ابنـه المنذر الى سرقسطة لاخضاعها ، وزحف المنذر بجيشه عليها وأغلق الوالى أبوابها وحاصرها ٢٥ يوما . ولما طال الحصار تركه المنذر ، ودخل أرض نفاره ونهبها ثم عاد إلى سرقسطه وحاصرها ، وبقى فى اسبانيا الشرقية حتى سنة ٨٧٠ م ٢٥٧ هـ وفى تلك السنة مات موسى فسلمت المدينة إلى المنـذر ، وفى أثناء تلك المدة ثارت طليطلة بقيادة عبد الله بن لب بن موسى الأول ، فزحف عليها المنذر بجيشه ، وبعد مناوشات سلمت المدينة فى سنة ٨٧١ م ، وقبل الامير أن يعفو عن رؤساء عصيان الماضى ، ثم رجع المنذر إلى قرطبة فقوبل بفرح عظيم

خامسا : خروج ابن مروان فى ماردة :

جمع عبد الرحمن بن مروان الجليقى رجاله فى سنة ٢٦١ هـ وقصد قلعـة الحنش فى جنوب ماردة وملـكها ، وأعلن الثورة ضد محمد بن عبد الرحمن امير قرطبة ، ثم ضم اليه عصابة أخرى يقودها ثائر يسمى سعدونا ، ودعا الى جيشه كل

مولدى ماردة وغيرها ، وتحالف مع الفونسو الثالث أمير ليون ، ثم أخذ يبشر بدين جديد وسط بين الاسلام والنصرانية ، ولما وجد الامير أن أمره استفحل فى تلك الجهات الغربية أرسل اليه جيشا تحت قيادة وزيره هاشم فى سنة ٢٦٢هـ فأرسل الجليقى سعدونا الى حليفه الفونسو الثالث يطلب منه المعونة والمدد ، ثم خرج من بطليوس ، وتوجه إلى حصن كركى وانضم اليه أهل ماردة ، ثم وصل المدد من حليفه على رأسه سعدون ، واستعد الجميع لمنازلة هاشم ، وتقابل الجمعان ودارت بينهما معركة دموية انتهت بفوز الجليقى وانهزام قوة الامير وأسر هاشم وأرسل الى ليون ليبقى فيها تحت الاسر حتى يفدى ، وقد افتداه الامير بقدر كبير من المال فأطلق سراحة بعد ان ترك اخويه وابن اخيه رهائن على باقى الفدية

وقدجاءفى ابن خلدون : أن عبد الرحمن الجليقى هزم هاشما واسره فى عام ٢٦٣هـ ثم وقعت المراودة فى الصلح على ان ينزل عبد الرحمن بطليوس و يطلق الوزير هاشما ، فتم ذلك سنة ٢٦٥ هـ ، ونزل عبد الرحمن بطليوس وكانت خربة فشيدها بعد سنتين ونصف من اسره ، وبهذا اصبح ابن مروان سيد تلك الجهات لاينازعه فيها منازع

سادساً : خروج عمر بن حفصون :

يؤخذ من التواريخ العربية والافرنجية ان عمر ينتسب إلى أسرة قوطية شريفة عريقة فى النسب ، وان أباه حفصون قد اعتنق الاسلام ، وانه هاجر من موطنه الأصلى فى شمال مالقه الشرقى ، واستوطن جبال رندة فى سفح جبل بيشتر وأن المعيشة بين الجبال والغابات والمضايق غير المطروقة أثرت فى طباع الشاب عمر فانقلب لصا قاطع طريق ، واعتدى على الأرواح والأموال ، وطاردته الحكومة

و يئس والده من تثقيفه فطرده من منزله ، وترك عمر اسبانيا وعبر البحر وقصد افريقية ونزل بمدينة ناهرت ، واشتغل خياطا عند أحد معارف أبيه ، ثم ترك الابرة وأخذ السيف ، وعاد إلى الاندلس وجمع حوله شبانا على شاكلته ، واتخذ جبل ببشتر حصنا له ، وأخذ هو وعصابته يقطع الطريق و يخطف البهائم و يفرض ضرائب فادحة على المزارع والزراع ، ثم استفحل أمر عصابته وتفاقم شرها وهاجمت المدن التى تقع حول مدينة ريا

واقليم ريا اقليم جبلى يبعد قليلا عن الساحل الجنوبى وعاصمته ارفيدونه وسكانه كلهم من الاسبان واعتنق أكثرهم الاسلام وكانوا ذوى جرأة واقدام وقوة ، ومهنتهم قطع الطرق والتهريب ، وعلى الرغم من اعتناق أكثريتهم الاسلام كانوا دائما يعدون العرب أعداءهم مغتصبين لحريتهم و بلادهم

غضبت الحكومة الأميرية لكثرة الاعتداءات التى وقعت من عمر ، وأمرت واليها فى ريا ان يطارد هؤلاء اللصوص ففعل ، ولكنه غلب على أمره وانهزم أمام العصاة فعزله الأمير وولى مكانه واليا جديدا ، فهادن العصاة ، ثم عاد الوزير هاشم بعد ذلك إلى هذه الجهة ، وطلب إلى عمر وعصابته ان يذهبوا إلى قرطبة فأجابوا الطلب ، واستقبلهم الأمير استقبالا عظيما وأدخلهم الجندية ، وفى صيف سنة ٨٨٣ م سار عمر ورجاله فى ركاب هاشم لقتال محمد بن لب رئيس بنى موسى والفونسو ملك ليون ، وقام باعمال جريئة فى الحرب ، ولكنه مل حياة الجندية المنتظمة وعاد إلى عصيانه فى عام ٨٨٤ م ، وطلب من الفرنج من سكان جبال البرانس ان يمدوه بما استطاعوا من الجنود ، ولما اجتمع لديه عدد كبير من الجنود أغاربهم على المدن والبلدان ، وقام حكام سرقسطة وواشقة يردون هذه الاغارات ولكنهم غلبوا على أمرهم فاستنجدوا بالأمير ، وجهز الأمير

جيشا كبيرا على رأسه ابنه المنذر وسيره لرد هؤلاء العصاة والقضاء عليهم ، وفى صيف عام ٢٦٩ هـ حدثت معارك هائلة بين الطرفين انتهت بمعركة أيبار ، وهى تبعد عن بنبلونه ببضع فراسخ قتل فيها غرسية ملك نفارا ، وجرح ابن حفصون جرحا بليغا ولكنه فر إلى الجنوب

ولم تكن هذه المعركة حاسمة إذ استطاع ابن حفصون بعدها على الرغم من جراحه ان يجمع حوله الانصار ، وظل ثائرا خارجا على إمارة قرطبة

أما المنذر فقد بقى بعد المعركة فى الشمال الشرقى ، وحاصر سرقسطة وعاث فى نواحيها ، ثم فتح حصن روطة وأخذ منه عبد الواحد الروطى ، وكان أشجع أهل زمانه ، ثم قصد مدينتى لاردة وقرطاجنة وكان فيها اسماعيل بن موسى وحاربه ، فأذعن اسماعيل بالطاعة وأعطى رهائن ، ثم تقدم إلى إلبة والقلاع وفتح حصونا ورجع ، وقد وقعت هذه الغزوة بين سنتى ٢٦٨ ، ٢٦٩ هـ — ٨٨٢ م

استمرت نيران الثورة مندلعة فى أنحاء الأندلس على الرغم من تلك الجهود الجبارة التى قام بها الأمير محمد وابنه المنذر ، وظلت القواد والجنود تكافح تلك الثورات فى الجهات المختلفة ، ويروى انه فى سنة ٢٧١ هـ عاد المنذر إلى الحرب وسار إلى مدينة بطليوس ، ففر منها ابن مروان الجليقى وكان قد عاد إلى الثورة وتحصن بأشير غرة فاحرق المنذر بطليوس ، وسير الأمير فى الوقت نفسه جيشا مع هاشم بن عبد العزيز إلى مدينة سرقسطة التى ثارت بزعامة محمد بن لب بن موسى يساعده حليفه ابن حصفون ، وحارب المدينة واستولى عليها ، وفر الثائران إلى الجبال ولكنهما ظهرا مرة ثانية بعد عودة الجيش إلى قرطبة ، واستعصم ابن حفصون بمدينة الحامة ، فخرج اليه المنذر وحاصره لمدة شهرين ، وأخيرا خرج المحاصرون وهاجموا جيش المنذر فتغلب عليهم ، وجرح ابن حفصون وفقد احدى يديه ،

ولكنه استطاع الفرار الى الجنوب حيث تحصن فى جبال بيشتر

أما ابن مروان فقد أغار على اشبيلية ، فأرسل الأمير اليه جيشا لمحاربته ، ودارت رحى الحرب بين الفريقين وانتهت بأن طلب ابن مروان الصلح على أن يخضع لامارة قرطبة فقبل الامير وصالحه ، واستقام ابن مروان على طاعته حتى مات

وفاة محمد بن عبد الرحمن :

توفى محمد ليلة الخميس الثامن والعشرين من صفر سنة ٢٧٣ هـ (أغسطس ٨٨٦ م) وقد ورد فى ابن عذارى فى وصفه ما يأتى :

« كان الامير محمد فصيحا بليغا عظيم الاناة ، يؤثر الحق وأهله ، لا يسمع من باغ ، ولا يلتفت إلى قول زائغ ، وكان عاقلا ، على أخلاق جميلة ، ومكارم حميدة ، وذا بديهة وروية ، وفيا لمواليه فى أنفسهم وفى أعقابهم ، لا يكدح عنده فى شىء من أحدهم فيسمعه أو يُسمعه ، وكان محبوبا فى جميع البلدان »

الفصل الثانى

المنذر بن محمد (٢٧٣ — ٢٧٥ هـ) (٨٨٦ — ٨٨٨ م)

تولى امارة الاندلس بعد وفاة أبيه ولقد كان يحارب بن حفصون عند ما بلغه خبر الوفاة . فترك ميدان الحرب وأسرع بالعودة إلى قرطبة ليتولى شئون البلاد ، ولم تطل مدته بل قام بأعباء الملك نحو سنتين قتل فى أثنائها وزير أبيه هاشم بن عبد العزيز فى شوال سنة ٢٧٣ هـ . وقاتل ابن حفصون وأنصاره ومات وهو يحاصره فى سنة ٢٧٥ هـ

وقد اختلف المؤرخون فى حوادث المنذر اختلافا شديدا فمنهم من قال ان قتاله لابن حفصون كان فى الجنوب ، وان هذا خدعه وأخذ منه مائة بغل فى أول حصاره لقلعته ، ومنهم من قال إن القتال كان فى الشمال ، وان ابن حفصون خدع هاشما وهو يحاصره فى طليطلة واخذ منه البغال ، وان المنذر قتل وهو يقاتل أنصار ابن حفصون فى قلاعهم على شواطىء نهر التاجة ، وكان أخوه عبد الله يحاصر طليطلة

وذكر دوزى : ان المنذر بعد ان عاد من الحامة الى قرطبة لوفاة ابيه اغتنم عمر ابن حفصون الفرصة ووسع سلطانه ، وعاد اصحاب الحصون التى بينه و بين الجنوب إلى طاعته ، فأجابوه الى ما طلب ، واصبح بذلك الملك الحقيقى للجنوب ، ولكن المنذر قاومه مقاومة عنيفة ، وارسل اليه الجنود وطارده مطاردة شديدة ، واصبحت اقاليم قبرة والبيرة وجيان ميادين حروب دموية بين الطرفين تعاقب فيها النصر

والخذلان لكل منهما ، وفى عام ٨٨٨ م خرج المنذر بنفسه لملاقاة الثوار ، واستولى على الحصون وخرب ضواحى بيشتر وحاصر ارشدونه ، وكان فيها عيشون احد قواد ابن حفصون ، وكان مشهورا بالشجاعة وقوة البأس والاقدام يثق بنفسه فى القتال إلى حد بعيد ، فحاربه المنذر حربا عوانا ، وأخيرا احتال على أسره بواسطة جماعة من أنصاره ، ولما أسر وقدم إلى المنذر صلبه وجعل على يمينه خنزيرا وعلى يساره كلبا محققا بذلك الطريقة التى رسمها لنفسه قبل أسره ، إذ كان يقول إذا ظفر بى السلطان فليصلبنى ويصلب على يمينى خنزيرا وعلى يسارى كلبا

استولى المنذر بعد ذلك على أرشدونة ثم فتح حصون بنى مطروح بجبل باغه ، ثم تقدم لحصار حصن بيشتر ، وضيق الخناق على ابن حفصون ولما لم يجد الثائر بدا طلب الصلح من المنذر على أن ينتقل هو وأهله إلى قرطبة ، وينتظم هو فى سلك الجندية لخدمة الأمير ، فأجابه المنذر الى ما طلب ، وحضر الثائر أمام الأمير والتمس منه أن يبعث الى بيشتر بمائة بغل ليحمل عليها أثقاله الى قرطبة ، وأمر المنذر بارسال البغال تحرسها قوة الى بيشتر ، ولكن عمر غافل الحراس واستولى على البغال وقتل عددا كبيرا من الجند وعاد الى عصيانه ، ولما بلغ المنذر خبر غدر الثائر أقسم أن يخرج لحصاره والقضاء عليه ، ونفذ قسمه ولكنه مات فى أواخر يونيو سنة ٨٨٨ م منتصف صفر عام ٢٧٥ هـ قبل أن يقهر الثائر

وفى رواية اخرى ان المنذر كان يحارب ابن حفصون ويطارده فى كل مكان واستمر القتال بينهما أكثر ، من سنة ، وان شجاعة المنذر وحميته دفعته ان يلقى

بنفسه وفئة قليلة بين أعدائه الكثيرين ، وقاتلهم بشجاعة فائقة حتى قتل منهم عددا كبيرا ، ولكن الثوار أحدقوا به و بفرسانه وأصابوه بعدة رماح ، فسقط صريعا فى ميدان القتال وكان ذلك فى صفر ٢٧٥ هـ

وفى رواية ثالثة أن المنذر مات مسموما بايعاز من اخيه عبد الله الذى أغرى طبيبه بفصده بسلاح مسموم، و بموته فقدت الأندلس قائدا جريئا وجنديا مدربا، ولقد اجمع مؤرخو الأمويين انه لو عاش سنة زائدة لاضطر عصاة الجنوب الى القاء السلاح ، واعلان الخضوع لأمير قرطبة

الفصل الثالث

عبدالله بن محمد (٢٧٥ — ٣٠٠ هـ — ٨٨٨ — ٩١٢ م)

صعد على كرسى الامارة بعد وفاة أخيه ، وكان فى الخامسة والأربعين من عمره ، وقد ذكر المؤرخون أنه لما علم بوفاة أخيه أسرع إلى أخذ البيعة لنفسه ، ثم سار بجثة أخيه إلى قرطبه ولكن الجند فى الطريق انفضوا من حوله فرارا من أهوال القتال فوصل بجثة أخيه إلى قرطبة وليس معه أكثر من ٤٠ فارسا ، وتولى الامارة فى ظروف سيئة تنذر بأفول نجم بنى أمية فى الأندلس ، واشراف دولتهم على هاوية الخراب والانحلال ، إذ لم تعد الثورة قاصرة على ابن حفصون والاسبان المولودين منهم والمسيحين ، بل عمت جميع الجهات ، وأصبح العرب أنفسهم يتطلعون إلى الانفصال و يفكرون فى الاستقلال عن امارة قرطبة ، وثارت العصبيات من جديد ، ولم يكن هناك بد من مصالحة أحد الفريقين ، الاسبان أو أمراء العرب فاختار عبدالله أن يصالح الاسبان ، وتقرب الى ابن مروان واعترف باستقلال مقاطعة ريجيو على ان يظل ابن حفصون مواليا له ، ونجحت هذه الخطة أول الأمر ولكن ابن حفصون لم يلبث أن عاد إلى عدائه ، وأطلق جنده ينهبون القرى والمدائن حتى وصلوا إلى أسوار قرطبة ذاتها ، فاحفظت هذه السياسة الخرقاء امراء العرب الذين رأوا استحالة موالاة من حالف أعداءهم الاسبان ، وتقرب اليهم على حسابهم ، ومع ان العرب كانوا أقلية ممتازة يحيط بهم خصوم ألداء من الاسبانيين والبربر يفوقونهم فى العدد ، فانهم نسوا مايستوجبه حراجة موقفهم من ضرورة الالتفاف حول عرش الأمارة فى قرطبة ، فقاموا ضدها وأسسوا إمارة فى أشبيلية على رأسها

ابن الأمير المسمى محمدا وأصبحت تنافس امارة قرطبة ، وشاركهم البربر فى سخطهم واستيائهم . وانتهز الجميع فرصة ضعف الامير وسوء سياسته للاستقلال عنه وقطع الصلة به ، فارتبكت أحوال الاندلس ارتباكا شديدا إذ أصبح ميدانا للمعارك ومنازعات القبائل الفاتحة وغيرها ، فان رؤساء الاقاليم أتخذوا سريان الفتن والشقاق بين الاسرة المالكة وسيلة لنيل استقلالهم والعمل على استئصال الدولة الاموية من اسبانيا واليك البيان :

أولا : النزاع بين العرب والاسبان فى البيرة :

كان الاسبانيون هم السواد الأعظم من سكان مدينة الفيرا على مقربة من غرناطة . أما العرب فكانوا أقلية تنزل نفسها منزلة ممتازة .وتتعالى على الاسبانيين من اعتنق الاسلام منهم ومن بقى على دينه . فكثر التصادم بين العنصرين وفى عصر عبدالله كان الاسبانيون من أهل البيرة فى نزاع دموى عنيف مع مواطنيهم العرب الذين كانوا إذ ذاك يجاهرون السلطان بالعداء ، وقد أمروا عليهم زعيما اسمه يحيى بن صقالة من بنى قيس . وغلب العرب على أمرهم فى هذا الصراع الذى تجمعت عليهم فيه جموع الاسبان من مولدين ومسيحيين ، فسقطت حصونهم فى أيدى الاسبانيين ، ولما صالحوا أعداءهم غدر بهم هؤلاء مما زاد الطين بلة أن تجددت بين العرب الحزازات ، وتفرقت كلمتهم ، فهاجم اليمانيون بنى معد ، و بعد أن أدركا سوء المنقلب اتصالح الفريقان ورضيا بزعامة قيسى اسمه سوار بن حمدون وكان عدوا لدودا للسورين فى قرطبة ، فاسترد لهم حصونهم ، ولولاه لاستئصلت شأفة العرب ، و بدأ يجمع كلمة العرب . ثم استرد ما كان لهم من حصون شمال غرناطة . وقتل ستة آلاف من الاسبانيين ، وتتابعت انتصاراته فكان لايترك

أحدا من الاعداء يفلت من يده بل حاربهم حرب ابادة وفناء فاستنجدوا بجاد أمير الفيرة (البيرة) ووعدوه بالدخول فى طاعته . فسار لنصرتهم ولما التقى الجمعان كان النصر حليف سوار ، وهرب الأعداء لاجئين إلى أسوار البيرة وقتل منهم ٧٠٠٠ ووقع جادا سيرا وتسمى هذه الموقعة موقعة جاد ، وقد فرح العرب بما أتوا من نصر ، وحالف سوار اهل ريجيو وجيان وغيرهما مما جعل الامير عبد الله بن محمد يتقرب اليه ، و يعرض عليه امارة البيرة ، وقبل سوار الامارة وصالح الاسبانيين . وعند ذلك فكر سوار فى اخضاع ابن حفصون ، ولكن الاسبانيين عادوا إلى امتشاق الحسام لابادة خصومهم والتخلص من قسوتهم وظلمهم ، فهاجموا العرب من كل ناحية واضطروهم إلى الالتجاء إلى حصن الحمراء بغرناطة ، وظل الحصن يتلقفه فريق بعد الآخر حتى انتهى الامر إلى تضييق الاسبانيين الحصار على العرب فيه ، ولما رأى سوار أن البقاء فى داخل الحصن معناه الموت جوعا خرج بجموعه وهاجم الاسبانيين بعنف شديد ، فاضطروا إلى الفرار ، وتبعهم العرب فأفنوا منهم اثنى عشر الفا وطاردوهم إلى أسوار البيرة

واضطر الاسبانيون فى ساعة يأس إلى الاستنجاد بمواطنهم عمر بن حفصون الذى كان على مقربة منهم فدخل البيرة ونظم جيشها وجمع شمله ، ثم خرج للقاء سوار وكان هذا قد استنفر عرب ريجيو وجيان فلما التقى بعمر هزمه واضطره إلى الفرار ، ولكن سوارا وقع بعد ذلك فى كمين نصبه له أهل البيرة وقتل ثم حملت جثته إلى البيرة حيث قطعت نساؤها جسده واكلته اكلا انتقاما لازواجهن وابنائهن الذين صرعهم فى حروبه ومعاركه . واختار العرب من بعده سعيد بن جودى انبل قومه محتدا ، واعظمهم شهامة وفروسية وافرهم كرامة و بسالة ، واكرمهم خلقا وكان شاعرا فصيحا وفارسا مغوارا وكان ابن حفصون يرهبه و يخشى نزاله ، وقد

استطاع العرب تحت رياسته أن يستولوا على البيرة .

ثانيا : ثورة أشبيلية:

فى اثناء الصراع بين الاسبانيين والعرب فى البيرة كانت تجرى أحداث على اعظم جانب من الخطورة فى اشبيلية ، تلك المدينة القديمة العريقة فى الحضارة القوطية ، وموطن اعرق الاسر ، اوسعها غنى وجاها ، وكان معظم اهلها من الاسبان نسل القوط والرومان لم يدخلوا فى الاسلام إلا حديثا على عهد عبد الرحمن الثانى ولذا ظلوا محتفظين بعاداتهم واسمائهم القديمة ، فكان منهم بنو انجيلو و بنو ساباريكو ، وتخلق بأخلاقهم من خالطهم من العرب ، وساروا فى طريق تمدينهم وكان بلدهم ثغرا من اهم ثغور الاندلس ، والتجارة والزراعة مصدر ارزاقهم والامن مخيم بجناحيه فوق مدينتهم ، والناس مسالمون بطبيعتهم ، وعلاقتهم بأمير الاندلس على اتم صفاء وولاء إذ كان فى نظرهم حاميهم من الفتن والحروب والعدوان ، وكان جيرانهم من العرب المشاغبين يحسدونهم على سعة ثرائهم ورخاء عيشهم ، ويتطلعون إلى الاغارة على مدينتهم ونهبها ، وكان الاشبيليون يتوقعون ذلك منهم . فكانوا يحتاطون خشية إن يؤخذوا على غرة ، وكان اهم بيوتات العرب فى الاقليم المجاور لاشبيلية بنو حجاج وبنو خلدون . اما بنو حجاج فهم وان كانوا عربا إلا انهم من نسل عمر اللخمى وزوجته سارا حفيدة غيطشه . وكان بنو خلدون من سلالة يمنية وزعيمهم يسمى كريب يكره أمير الأندلس ، ويود لو استقل باشبيلية ، فرأى ان يتزعم ثورتها وأخذ يحدث العرب من أهلها عن الحرية ، ولكنهم كانوا جميعا من قريش ومن موالى الأمويين فلم يلتفتوا لأقواله ، وفضلوا حكم بنى أمية على الفوضى التى

يحدثهم عنها كريب ، فاتجه بجهوده إلى عرب البادية وعرب المغرب (البربر) فى قرمونة ، ومناهم بنهب اشبيلية ، والاستيلاء على ثروتها الهائلة فالتقى منهم سميعا ، وأغاروا على اشبيلية التى كان يسيل لعابهم لنهبها ، ويتحرقون شوقا لقتل أهلها وسبى نسائها ، ولما قابلهم حاكم المدينة هزموه وخربوا ضواحى اشبيلية وعادوا إلى ديارهم بمادة مثقلين بالغنائم والاسلاب ، ولما علم ابن مروان امير بطليوس بما غنمه البربر زحف هو ايضا على اشبيلية ونهب ضواحيها ، عندئذ اشتكى أهل اشبيليه الى الأمير عبد الله تقاعس حاكمهم عن الدفاع عنهم فنيره ، ولكن خلفه لم يكن بأحسن منه ، فازدادت الفوضى وكثر الغزو والسطو ، وأخيراً قام محمد ابن غالب من المولدين و بنى حصنا فى مدخل اشبيلية وشحنه بالمقاتلة ، وصد المغيرين عنها ، وقتل أحد بنى حجاج فشكوه إلى أمير الأندلس ، فأرسل عبد الله ابنه محمدا ولى عهد الامارة للفصل بينهما ، فحكم لصالح ابن غالب فغضب بنو حجاج وأسرع كريب إلى الاستيلاء على قرمونة وما جاورها ، فارتبك محمد وأرسل الى أبيه عبد الله يطلب المشورة منه ، فقر رأيه على ارسال مولاه جاد ، الذى كان سوار قد اطلق سراحه ، بجنود الى اشبيلية لقتال ابن غالب واقناع بنى حجاج والعرب والبربر بالخضوع للامارة ، فأتم جاد مهمته . ولكن هذا الغدر الشنيع بمن اخلص الولاء للامير والتقرب بدمه الى خصومه واعدائه الالداء إلانة لقلوبهم وتقليما لاظفار ضغنهم كان عملا من اعمال الحماقة منقطع النظير ، وترتب عليه ثورة المولدين فى اشبيلية انتقاما لابن غالب واصرارهم على قتل أمية حاكم اشبيلية واخى جاد ، فهاجموا قصره ، واجبروه على الالتجاء الى قصر الأمير محمد ، وأحاط الثوار بقصر الأمير وهاجموا حماته ، ولكن جادا اسرع بجنده وفرسانه لنجدة اخيه وقامت حرب طاحنة سالت فيها الدماء انهارا وانتهت بهزيمة الثوار ، واعمل

جاد وجنده السيف فى رقاب اهل اشبيلية المولدين ، ونهبوا متاجرهم ودورهم ، والقوا بجثثهم فى الوادى الكبير . وخشى جاد على نفسه فانضم الى اخيه امية ، ولكن احد اخوة ابن غالب قتل جادا غيلة اخذا بثأر أخيه ، وفخر شعراء اليمن بهذا الانتصار ، وانتفع بنو حجاج و بنو خلدون وحدهم بهزيمة مولدى اشبيلية فأصبحوا سادة هذه المدينة ، وفشلت جهود امية فى الايقاع بينهم ، وقاتلوه حتى قتل ، واستقل باشبيلية ابراهيم بن الحجاج وكريب ٨٩١ م وهى السنة الرابعة لولاية عبد الله بن محمد ، وفيها خلع جميع الأمراء المولدين والعرب والبربر طاعة عبدالله ، واستقل كل بما تحت يده من تراث الدولة الأموية ، وكان الأمراء العرب اقل الجميع نصيبا ولم تكن لهم شوكة ظاهرة الا فى اشبيلية ، اما فيما عداها فقد كانوا يحاولون الاحتفاظ بمراكزهم ضد العنصرين الآخرين

واحس الكثيرون امراء العرب بضعفهم فلم يجاهروا بالعداء للأمير بل ظلوا متظاهرين بالولاء ينفذون من اوامره كلما كان يحلوا لهم ذلك .

ثالثا — فتنة البربر :

توصل البربر كذلك وسط هذه الفوضى الى تأسيس دويلات مستقلة ، فاستقل الملاحى بجيان ، واستقل ابن تاكيت بماردة ، وحارب ابن مروان امير بطليوس وكانت اسرة بنى ذى النون وزعيمها موسى و بنوه يحيى وفتح والمطرف تعيث فى الارض فسادا وخاصة فى بلاد البرتغال

واستقل فى اقليم الجرف بجنوب بلاد البرتغال بكر بن يحيى من اصل اسبانى وان اعترف بالولاء لحكومة قرطبه

رابعا — ابن حفصون :

ولكن ابن حفصون كان ألد أعداء الأمير عبد الله فقد ضم اليه سعيد بن مستنه الثائر على عبد الله بن محمد ، وأكثر من الاغارة على القرى المحيطة بقرطبة واجتاح جنوب الأندلس ، وعاث فيها فسادا ونهبا واحراقا ، وأصبح سيد البلاد الواقعة جنوب نهر الوادى الكبير ، وأخذ يمنى نفسه بالاستيلاء على قرطبة ذاتها ، وكان يوقن بنصرة الاسبان له ، ووسط ابن الأغلب حاكم أفريقية فى الحصول على أمر من الخليفة العباسى بولايته على الأندلس ، ووجد فى نصارى قرطبة أعوانا له وحلفاء ، فقد مضى الزمن الذى كانوا يظهرون فيه مقتهم لمستعبديهم بالاقدام على الاستشهاد ، وآن أوان القيام بدور إيجابى فى تحرير أنفسهم و بلادهم من نير المسلمين ، فانضم اليهم خدام الأمير مثل الكونت سرفاندوا الذى كان يمقته القسس لشدة وطأته عليهم فى فرض الضرائب وتعريضه عظام القديسين لسخرية المسلمين ، و بدأ يقلب ظهر المجن للامير و يداهن بنى جلدته ، و يأتمر معهم على الثورة ، ولما انكشف أمره هرب لاجئا إلى ابن حفصون وكان هذا يقيم فى أستيجه على مقربة من قرطبة

وآل الأمر بقرطبة ان أصبحت محصورة من كل جانب ، لا ينام أهلها إلا غرارا ، و يروعون فى منامهم بصياح القتلى على الضفة الأخرى من النهر ، وأصبحت عرضة للسلب والسبى وضاعت مهابة أميرها . واستطال عليه جنده وطالبوه بمؤخر رواتبهم ، وأصبحت خزينته خاوية على عروشها ، وأقترض من الاغنياء مالا يمد به الموالين له من أمراء العرب ، وقلت الاقوات فيها وزاد الغلاء وعم البلاء ، وأصبح لا محيص عن تمزق ملك عبد الرحمن الداخل وسقوط دولة بنى

أمية فى الاندلس ، وكان أتعس الناس حالا أميرهم عبد الله ، إذ أراه الله عاقبة بغيه وقتله أخيه ولقد أجهد نفسه فى استرضاء ابن حفصون ، ولكن أنى يرضى صاحب المطامع بمعسول اللفظ وناعم القول ، وأخيرا أعياه اليأس ونال منه الجهد فاعتزل الملك وأقام فى صومعة زاهدا متنسكا يكتب أشعار الزهد واستمر على هذا حتى صحت عزيمته على أن يموت فى ساحة القتال موت الاشراف

بدء الانقلاب :

تحرك عبدالله ومعه ١٨ ألفاً. وكانت جنود ابن حفصون ٣٠ ألفا ، و بدأ القتال بمناوشة صغيرة على مقربة من قرطبة انتصر فيها السلطان ، ثم زحف عبدالله بعدها على حصن بولى وكر ابن حفصون ٨٩١ م ، فدافع عنه ابن حفصون وحمى وطيس المعركة وقاتل فيها عبدالله بنفسه بين جنوده ، وتراجع أحد قواده عبد الملك بن أمية وكاد عبدالله يفر منهزما لولا أن تقدم اليه قائد اسمه عبيد الله فثبته ، وقال له إلى أين المفر يا أمير ، أتجعل ظهورنا نحو العدو فينقض علينا و يقطعنا قطعا ، تقدم ، و يفعل الله مايريد ، وان ينصركم الله فلاغالب لكم ، فحمل عبدالله بجنده حملة عنيفة وهزمت جنود بن حفصون ، وفر هاربا إلى حصن (بيشتر) ، وسقط حصن بولى فى يد عبد الله ، وغنم جنده غنائم كثيرة ، وسيق اليه الأسرى ، فعفا عن المسلمين وعرض الاسلام على المسيحيين وكانوا ألفا ، فلما أبوا قبوله أمر بهم فضربت أعناقهم وطارد ابن حفصون ، ولكن جنده ملوا القتال فعادوا إلى قرطبة .

ولولا انتصار عبد الله فى موقعة بولى لسقطت دولة بنى أمية ، فبهذا الانتصار رجع للسلطان مقامه الأول وعاد الى طاعته بولى واستجه وأرشدونه والبيرة

وجيان ، وانكسرت شوكة ابن حفصون ، وحصل انقلاب فى الرأى العام ، ورأى الناس فى أنحاء الاندلس أن السلام فى طاعة السلطان وترك الفوضى .

على أن بن حفصون انتهز فرصة الهدنة ، وأخذ يغير على أملاك السلطان حتى استرد ما كان قد فقده ماعدا البيرة التى استطاع السلطان انتزاعهامنه

والتفت عبدالله بعد ما تنفس الصعداء إلى الأمراء الثائرين عليه ، فاخذ يسوق اليهم الجيوش كل سنة . حتى أجبر كثيرا منهم على دفع الجزية ، وبهذه الطريقة استطاع أن يعمر خزائنه الخاوية ، ولكن ابراهيم بن الحجاج أمير أشبيلية استاء مما فرضه عليه عبد الله من جزية باهظة فتحالف مع ابن حفصون (٩٠٠م) الذى كان قد ارتد عن الاسلام واعتنق النصرانية ، هو وذوى قرباه (٨٩٩م) وكان من قبل يخفيها خداعا ، فانصرفت قلوب المسلمين من أنصاره عنه وناصبوه العداء ، ومع هذا دخل ابراهيم بن الحجاج فى حلف معه ، واسترد ابن حفصون قوته الأولى بهذا الحلف ، فهاجم قرطبة ليلا ولكنه هزم ، وردته كتائب ابن أبى عبدة قائد عبد الله ، ورأى الأمير نفسه بعد كل هذا فى حل من قتل رهائن ابن حفصون ، ولكنه عفا عن ابراهيم بن الحجاج استعادة لولائه ، فتأثر ابراهيم بهذا العفو وظل مقيما بعد ذلك على الولاء ، وواظب على دفع الجزية ، وكان يرسل كتيبة سنوية إلى جيش عبد الله كما كان يفعل أمراء الاقطاع فى تلك العصور ، على أنه مع ذلك ظل مستقلا فى اشبيلية ، وحكمها حكما عادلا ، فنشر الأمن ، وأقام العدل ، وناصر العلماء والأدباء ، وقوى الجيش واستقدم المغنيات من بغداد والمشرق ، وأشهرهن قمر ، وتقدمت التجارة وزاد الثراء فى عصره ، وكان بلاطه منتجع الشعراء والعلماء من قرطبة ، و بسم الدهر لعبد الله بعد تجهمه ، فخضع له غرب الاندلس بعد طول تحديه ، وواظب على دفع الجزية كما أفلح عبد الله فى

اخضاع الجنوب ٩٠٣— ٩١٠ م ، وخضع له الشمال ، وكذلك دخل لوب بن محمد أمير سرقسطه فى طاعته ، واستمر على الولاء أخوه عبد الله من بعده ، وجدّت أمارة سرقسطه فى مجاهدة المسيحيين فى أقاليم نافارة و برشلونة وليون

فتح العرب مغامرين لاقليم بروفنس والرفيرا :

من أغرب ما حدث على عهد عبد الله بن محمد من أحداث جسام أن خرج جماعة من العرب مغامرين يدفعهم حب الفتح إلى جنوب فرنسا ، واجتاحوا إقليم بروفنس ودوفينى ، واحتلوا نيس ومرسليا ، وعبروا جبال سينيس ٩٠٦ م ، واحتلوا بيد مونت وليغوريا (شمال ايطاليا) وجزءا من سويسرا حتى بحيرة كنستانس ، وهناك أقاموا مستعمرة نزلوا فيها ، وفعلوا كل هذه العظائم غير مسوقين من سلطان ولا أمير ، مما لم نسمع بمثله إلا فى دور الاستعمار من تاريخ أوروبا الحديث وقد سرد الامير شكيب ارسلان فى كتابه « تاريخ غزوات العرب » شيئا كثيرا عن تاريخ هذه الغزوة فأرجع اليه

وفاة عبد الله :

وتوفى عبد الله فى ربيع أول ٣٠٠ هـ ١٥ اكتوبر ٩١٢ م ، وعمره ٦٨ سنة بعد حكم طويل شهد فيه أحداثا جساما . وأهوالا شداداً ، فيه أشرفت الدولة الاموية على البوار ، وقاربت إلى الزوال ، على أنها شهدت من بعده استردادا لقواها ، ونهوضا عاجلا من كبوتها فى عصر خلفه عبد الرحمن الثالث (الناصر)